الدينامية الحضرية بالواحات
من خلال نموذج الجماعة الترابية لبومالن دادس

الباحث يوسف الوردي
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، باحث في الجغرافيا
المغرب

الملخص

يتعلق الأمر بدراسة أهم التطورات المجالية بواحة دادس، وما يرتبط بها من تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية عميقة، نتيجة لعوامل داخلية وخارجية، أهمها استثمارات المهاجرين بالخارج، والتي توظف أساسا في قطاع البناء وقطاع التجارة والخدمات كالنقل والسياحة. كل هذه العناصر وغيرها جعلت المنطقة تعرف دينامية مجالية مهمة، مما انعكس على حركة السكان وبروز تجمعات حضرية، في وسط يتسم بالهشاشة والفقدان المستمر لخصوصياته الطبيعية الأصلية. وسنقتصر من خلال هذه المساهمة على حالة الجماعة الترابية لبومالن دادس، كنموذج مصغر لدراسة التطورات المجالية بواحات الجنوب الشرقي، والذي يعتبر من المراكز الحديثة النشأة، التي ظهرت إبان فترة الاستعمار الفرنسي سنة 1930، كقاعدة عسكرية، ثم تطور فيما بعد إلى دائرة، في إطار حركية مجالية متسارعة عشوائية، غير خاضعة لتخطيط منظم، فنتج عن ذلك مشهدا عمرانيا مخالفا تماما للمشهد السابق، يحتاج حاليا لتهيئة عمرانية منسجمة مع البيئة الواحية ومع الكتلة السكانية التي يحتضنها.

كلمات مفتاح: التحولات المجالية، التهيئة العمرانية، واحة دادس.

Abstract:

The main point focuses on the economic, cultural and social changes that Dades oasis has witnessed. Such changes are due to a number of different interior and exterior factors, namely the Moroccans living abroad investments in architectural construction, commerce and other services. Such factors and other ones have contributed to a dynamic territory and people movement in addition to the emergence of urban agglomeration in a milieu characterized by fragility and vulnerability, which has paved the way to the disappearance of authentic original local features. In this context we will shed the light on Boumalne Dades commune as a model to study and investigate the local developments in the South Eastern oasises. Boumalne Dades commune was created in the 1930s during the French colonization. It was a military base that developed later to a local government in a fast territorial disorderly dynamism without an urban development plan. Such chaos led to urbanism totally different from the precious local one, which requires now some urbanization compatible with the oasis milieu.

Key words: Local changes and developments, Urban planning, Dades oasis

مقدمة

شهد مركز بومالن دادس عمليات تدخل ساهمت في بروز تجليات مجالية جديدة، تتعدى النظم القبلية إلى أشكال مؤسساتية حديثة، ترمي إلى بناء إستراتيجية جديدة موجهة لتطوير المجال. وكان التدخل أجنبيا عن طريق الحماية الفرنسية التي نهجت سياسية عسكرية، كانت انطلاقتها الأولى بروز مركز عسكري، والذي سيعد بمثابة النواة الأولى لظهور المركز الحضري فيما بعد، وقد رافق إنشاء هذا المركز تأسيس بعض المرافق الاجتماعية والإدارية الحيوية. ومن هنا ستعرف المنطقة تغييرات مهمة وأساسية خلال فترة الاستقلال، بوضع تقسيمات إدارية وإنشاء مركز حضري.ولمناقشة التحولات السوسيومجالية بواحة دادس، سنطرق إلى محورين أساسيين وهما:

- مظاهر الدينامية ومؤشرات النمو بالجماعة الترابية لبومالن دادس.
- الدينامية المجالية والوظيفية لمركز بومالن دادس.

❖ **إشكالية البحث**

✓ إشكالية البحث

إن ما يميز المغرب هو التمدين السريع والمتزايد الذي تشهده كل المدن المغربية والمراكز الحضرية كيفما كان حجمها، وانطلاقا من هذا وضعنا إشكالية أساسية سنحاول معالجتها من خلال هذا المقال حول جماعة بومالن دادس. فكما هو معروف فالوثائق الرسمية وقوانين التعمير لم تولي أهمية لهذه المجالات التي ظلت عبر التاريخ مهمشة وغير مهتم بها كما تستحق، مما انعكس على دينامية التعمير بهذه المجالات على مستوى التهيئة وهيكلة المجال. وكذا نقص مستوى تقديم الخدمات الضرورية والأساسية للساكنة المحلية. وفي هذا الإطار تم اختيار الجماعة الحضرية لبومالن دادس كمجال واحي شهد تحولات سوسيومجالية ناتجة عن عوامل عديدة في دينامية التمدين أهمها الاستثمارات التي ترجع إلى عائدات وتحويلات المهاجرين بالخارج والتي توظف أساسا في قطاع البناء والتجارة والنقل والسياحة. وقد مكنت هذه الأنشطة من خلق دينامية مهمة انعكست على تطور المجال الحضري لبومالن دادس.

وبناءا على ماسبق فان الإشكالية تتمحور حول أهمية العقار ومختلف الأنشطة في دينامية المجال. ومن هنا لابد من طرح مجموعة من التساؤلات.

- كيف تطورت المدينة ببومالن دادس.
- أي دور للهياكل الإقتصادية والاجتماعية في تمدين المجال.

1.الموقع الجغرافي لجماعة بومالن دادس

تقع الجماعة الترابية لبومالن دادس داخل نفوذ عمالة إقليم تنغير التابعة جهويا لجهة درعة تافيلالت. وتوجد في موقع استراتيجي تتوسط كل من قلعة مكونة وتنغيروإكنيون امسمرير، وتشرف على هضبة يصل ارتفاعها إلى1580م. يحد هذه الجماعة من ناحية الشرق والشمال والجنوب جماعة أيت يول، ومن ناحية الغرب فتحدها جماعة سوق الخميس دادس. كما تخترقها الطريق الوطنية رقم 10 المؤدية إلى الرشيدية، والطريق الجهوية رقم: 704المؤدية إلى امسمرير(الخريطة رقم:1). وتبلغ ساكنة بومالن دادس11669 نسمة حسب إحصاء2014، تستغل مساحة تقدر ب 76كلم^2.

خريطة رقم 1: الموقع الجغرافي للجماعة الترابية بومالن دادس

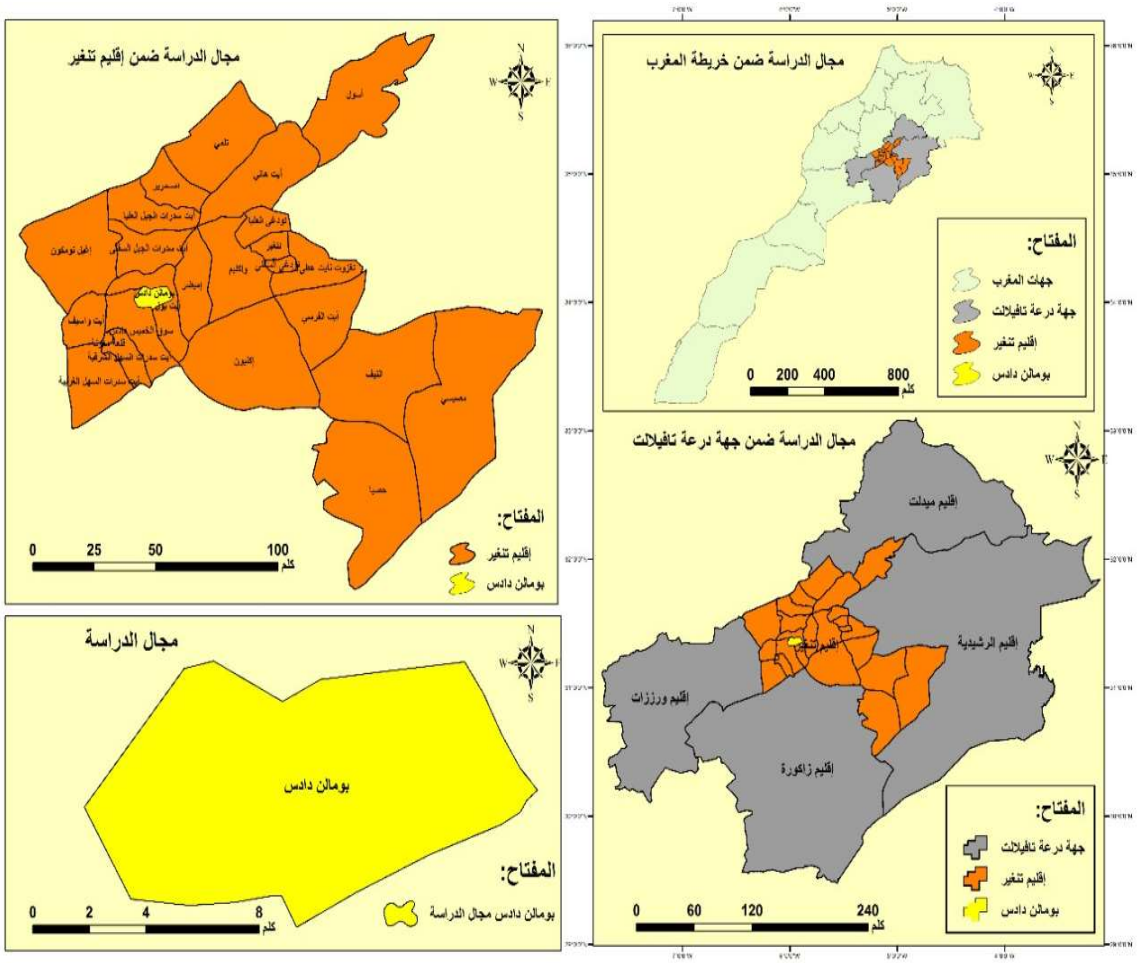

المصدر: انجاز يوسف الوردي+المصلحة التقنية بالجماعة الترابية لبومالن دادس

2.بومالن دادس: مظاهر الدينامية ومؤشرات النمو

منذ الاستقلال أسندت للمركز المهمة الإدارية لدائرة بومالن دادس. وأحدث بها مقر الدائرة و مركز صحي، وثانوية و مركز للتوثيق. وبدأ المركز يستقطب بعض الأسر بهدف تتبع المسار الدراسي لأبنائهم. وبلغ عدد سكان بومالن دادس2084نسمة سنة 1960. ومع انتعاش السياحة أخذ المركز يعرف نموا متزايدا بفعل الجولات السياحية التي تستغل المنتوج السياحي المحلي، كما أن الجماعة بدأت تعزز مكانها الوظيفي خاصة منه التجاري والخدماتي، بحيث ارتفع عدد الأنشطة الحضرية من 79محلا سنة 1980 إلى 271 سنة 2007.

1.2. نشأة ومراحل تطور مدينة بومالن دادس

تتميز البنية الحضرية لبومالن دادس بإزدواجية تجمع بين الواحة والمدينة وهي ميزة تعرفها المجالات الواحية، بنية موروثة ترعاه مؤسسة العرف إلى بنية حضرية يوجهها القانون بواسطة وثائق التعمير. فالتوسع الحضري للمركز اتخذ مظاهر مختلفة.

1.1.2. الاستعمار وبوادر التمدين ببومالن دادس

إن تطور مركز بومالن دادس مشابه للمراكز التي تم إنشاؤها في نفس الظروف والتحولات التي عرفها الجنوب الشرقي المغربي إبان فترة الاستعمار. حيث أنه في سنة 1929 دخل المستعمر وأنشأ مركز قلعة مكونة في 14 ماي 1929 بزعامة القائد ملان (MOULIN). وقد تم خلق مكتب للشؤون الأهلية قصد مراقبة تحركات قبائل امكون وأيت سدرات وايت عطا-ن-دادس. ومع بلوغ الفرنسيين دادس قام حاكم قلعة مكونة باستطلاع منطقة بومالن دادس يوم 5 ماي 1930، وأمر بإقامة مركز عسكري فعلي بها[1]. وبأمر من الكولونيل شاردون (CHARDOUN)أمر بشق الطريق نحوه، وبالتالي احتلت المنطقة وأنشأ المركز في 20 دجنبر 1930، في موقع استراتيجي توفرت فيه جميع الشروط التي تمكن من مراقبة القبائل بكل من دادس، تودغى وصاغرو، وسيمكنها من السيطرة على الطرق التي تربط ورزازات بالمناطق السالفة الذكر.

2.1.2. مراحل التوسع الحضري بمركز بومالن دادس

إلى حدود النصف الأول من القرن 20، فمنطقة بومالن عبارة عن تجمعات سكنية متفرقة تعيش على شكل دواوير. لكن انطلاقة الجماعة لم تبدأ إلا بعد الاستقلال خاصة بعد ترقيتها إلى مستوى مقر الدائرة. ومن هنا يمكن تقسيم مسار تطور الجماعة الترابية لبومالن دادس إلى ثلاث مراحل (الخريطة رقم:2)، وهي:

- مرحلة 1930-1960: عرفت هذه المرحلة نشوء معسكر بومالن مع الحماية الفرنسية، وكان الهدف من خلاله هو إحكام السيطرة على المنطقة. وعلى هذا الأساس تم بناء ثكنة عسكرية لإيواء جنودها، مما يبرهن على بداية تخريب المشاهد الواحية القديمة(الدواوير) وإخضاع رؤساء القبائل للسياسة القمعية الاستعمارية[2]، وقد نتج عن ذلك ظهور ملامح أولية للمدينة.

أما من الناحية الاقتصادية، فالانفتاح على العالم الخارجي أدى إلى ازدهار النشاط التجاري والفلاحي وتراجع الصناعة التقليدية. هذا الانفتاح عمل على تحويل الملكية الجماعية إلى ملكية خاصة، زاد في تحولها تغلغل النقد المعدني بالجماعة[3].

أما على المستوى الاجتماعي، ستظهر مجموعة من المرافق الاجتماعية، كبناء المستشفى القروي منذ سنة 1938، وذلك لاستقبال جرحى معركة بوكافر. وفي سنة 1952 سيتم إنشاء مدرسة ابتدائية تحمل اسم "عمر ابن الخطاب" لكسب ود السكان ومحاربة الأمية[4].

هذا بالإضافة إلى ظهور حي سكني يحمل اليوم اسم "دوار المخازنية" استقر به الجنود والموظفون الذين يقومون بأعمال إدارية، إضافة إلى بعض المنازل التي بنيت في نهاية الثلاثينات بالطين غرب الحي الإداري الحالي، التي كانت تابعة لخليفة الكلاوي المسمى "موحداش".

1960- 1980: بعد خروج المستعمر حلت الإدارة المغربية، ومارست نشاطها في الميادين الموروثة عن تلك الفترة، فمن ناحية الإدارة تم الاحتفاظ بمقر الشؤون الأهلية كمركز لتقديم الخدمات الإدارية، وتم توسيع المدرسة الابتدائية لاستيعاب الأفواج المتزايدة التلاميذ. أما المستشفى فلم يشهد أي تغيير ما عدا بعض الإصلاحات الطفيفة، وتجدر الإشارة إلى أن العمل بهذا المستشفى استمر إلى غاية 28 فبراير 1999 تاريخ افتتاح المستشفى الجديد. وفي سنة 1965 ظهرت مجموعة من المرافق التي جلبت العديد من الموظفين والعاملين الذين ساهموا في انتعاش الجماعة. فقد تم بناء مقر للبريد، ومقر للدرك الملكي، وثانوية بومالن دادس. وفي سنة 1972ظهرت أولى الفنادق بالمنطقة من صنف أربعة نجوم من طرف وزارة السياحة.

ما بعد 1980 إلى الان: خلال هذه الفترة عرفت الجماعة تطورا على المستوى الإداري، إذ تم ترقيتها إلى مستوى بلدية بمقتضى المرسوم رقم 2/92/651 الصادر بتاريخ 30 يونيو 1992، حيث تم ذمج دوارين في تراب البلدية. كما أن المجال السكني بدأ يتزايد حيث اتخذ شكلا خطيا على طول الطريق الوطنية، في شكل دواوير. أما مركز المدينة فقد عرف توسعا عمرانيا اتخذ من سفح

الهضبة مجالا للانتشار والتوسع موزعا على أحياء عشوائية (كحي السلام، حي المسيرة، وحي النهضة..) وعلى بقع غير مجهزة. وفي شرق المركز بدأت تظهر تجزئات سكنية قانونية " كتجزئة اداك" و"تجزئة دادس". كما أن الجماعة بدأت تستقطب أنشطة تجارية تتركز في الغالب على طول شارع محمد الخامس.

خريطة رقم 2: مراحل التوسع الحضري للجماعة الترابية لبومالن دادس

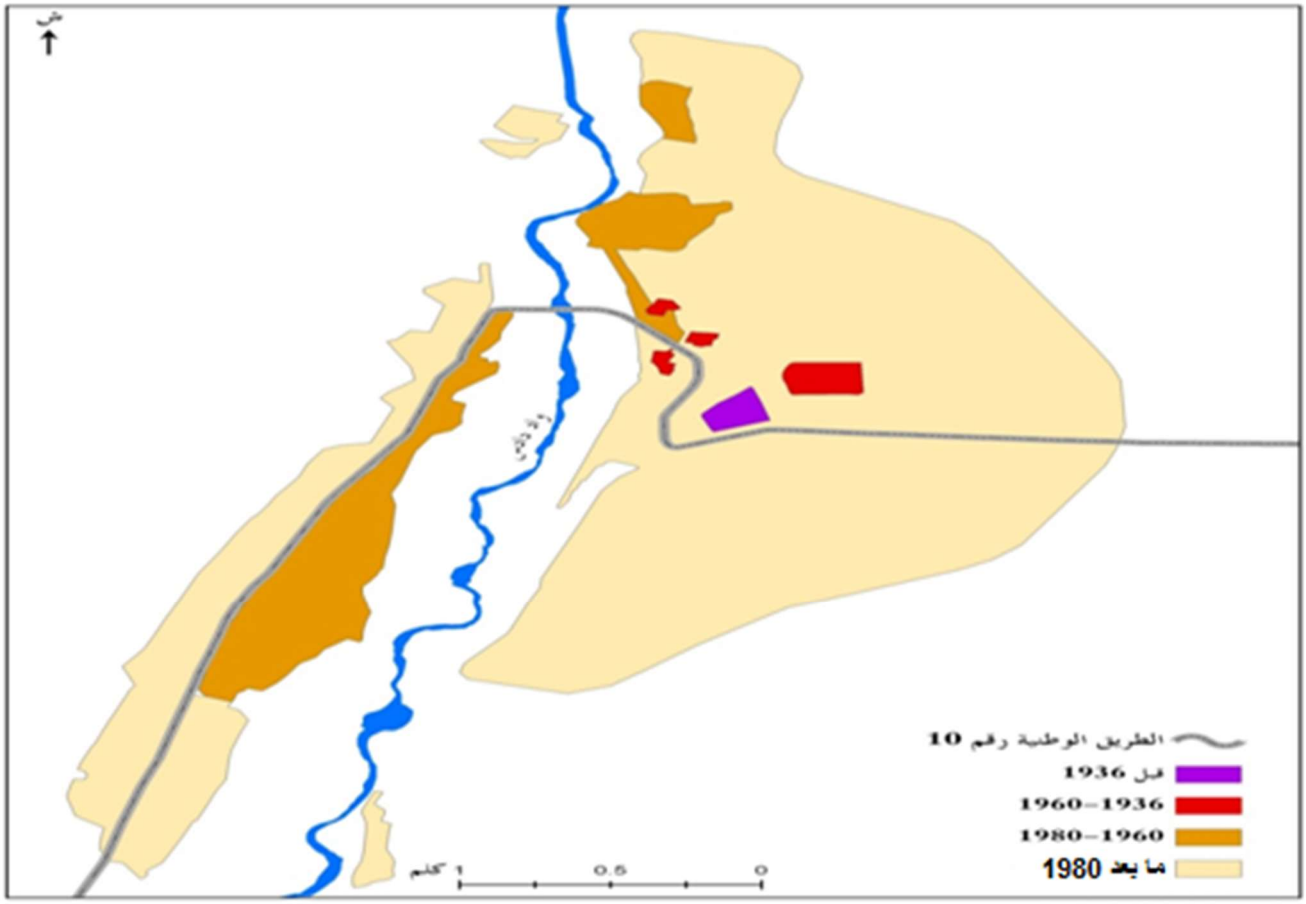

المصدر: انجاز يوسف الوردي+المصلحة التقنية بالجماعة الترابية لبومالن دادس

2.2.النموالديمغرافي وتوسع المجال الحضري

عرفت الجماعة استقرارا بشريا قديما، بحيث مر عدد السكان بعدة مراحل مختلفة، فعلى غرار سكان الأرياف والمدن المغربية فقد عرف سكان بومالن دادس تطورا ملحوظا بعد الإستقلال. ويعزى هذا النمو إلى تضافر مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. فقد انتقل عدد سكان الجماعة من 167 نسمة سنة1936 إلى 11669 نسمة سنة 2014، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم 1: تطور سكان الجماعة الترابية لبومالن دادس مابين 1936–2014

السنوات	1936	1960	1971	1982	1994	2004	2014
عدد السكان	167	390	2084	4820	9908	11179	11669

Source: Recensement de la population(2014-1936)

اعتمادا على الأرقام الواردة في الجدول رقم (2)، يمكن التمييز بين أربع مراحل أساسية عرفها التنقل السكاني خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن 21، وهي كالتالي:

– المرحلة الأولى: 1936-1960: تميزت بتطور ضعيف مقارنة مع المراحل اللاحقة، فقد تضاعف سكان الجماعة مرتين ونصف، ويرجع هذا التطور الضعيف إلى أن نظام الحالة المدنية لم يخضع له منذ 1934 سوى الأجانب خصوصا الفرنسيين، واستمر هذا إلى حدود 1951 ليشمل التسجيل المغاربة. إلا أنه كان مقتصرا على فئات الموظفين والشيوخ وعمال المناجم المجاورة للجماعة، ولم يشمل عموم السكان. إلا بانطلاق الحملة الوطنية للتوعية بالحالة المدنية.

– المرحلة الثانية 1960-1971: تميزت هذه المرحلة بارتفاع النمو الديمغرافي، حيث انتقل من 390 سنة 1960 إلى 2084 سنة 1971، تطور مهم بالمقارنة مع الفترة السابقة، وذلك راجع لكون الحملة الوطنية للتوعية بالحالة المدنية لسنة 1967 سجلت إقبالا متوسطا، ثم جاءت بعدها حملة ثانية سنة 1971 ومعها بلغت نسبة المسجلين ما يناهز 50% من السكان.

– المرحلة الثالثة 1971-1994: عرف فيها النمو الديمغرافي تطورا، بحيث انتقل عدد السكان من 2084 سنة1971 إلى 9908 سنة 1994، ويرجع هذا التطور إلى كون الجماعة استمرت في حملاتها التحسيسية مع إجبارية التسجيل إلى أن حققت نتائج جد حسنة. إذ بلغت نسبة المسجلين 100% مع نهاية 1998[5].

هذا التطور يرجع أيضا إلى ارتفاع نسبة الولادات الناتج عن انتشار الزواج المبكر، وعدم الوعي بتنظيم الأسرة، وفي المقابل انخفاض نسبة الوفيات بفضل تحسن الظروف الصحية ومقاومة بعض الأمراض، وتحسن المستوى المعيشي لدى أغلبية الساكنة التي انعكست عليها عائدات الهجرة الخارجية.

– المرحلة الرابعة 1994-2004: عرف فيها النمو الديمغرافي ارتفاعا بطيئا حيث انتقل من 9908 سنة 1994 إلى 11179 سنة 2004 بمعدل نمو سنوي يصل 2 %.

هذه هي الصورة العامة لجماعة بومالن دادس خلال الفترة الاستعمارية، حيث انتقلت من مركز عسكري وبدأت تتخذ طابعا حضريا. لكن بعد الاستقلال أخذ المركز يعرف أبعاد مجالية أخرى، بفعل التوسع الحضري خاصة في ميدان السكن والأنشطة.

3.الدينامية المجالية والوظيفية لمركز بومالن دادس

أخذ المجال الحضري بالجماعة ينمو في ظروف طبيعية صعبة مما جعله يمتد على أطراف الواحة كما هو الشأن بالنسبة للقصور، إنه امتداد يجسده المناخ والطبوغرافية والموضع ولا تسايره السياسة العمرانية الموجهة لتنظيم المجال.

1.3. يشكل الواد مكان لامتداد المجال الحضري

إن موقع المنطقة بين خطي عرض ′30°31و°31 شمال خط الاستواء، وامتدادها جنوب الأطلس الكبير الأوسط، والذي يحيط بها من الغرب والشمال يمنع عنها المؤثرات البحرية الرطبة، إضافة إلى انفتاحها على المؤثرات الصحراوية يجعل مناخها صحراوي. يتميز بضعف التساقطات وبمعدلات حرارية مرتفعة. فالحرارة تسجل تباينا حسب الفصول، إذ خلال فصل الصيف تسجل الحرارة القصوى °37 وفي فصل الشتاء تنزل خلال شهر يناير لتصل أدناها أي إلى °13، وتخضع أيضا لعنصر الارتفاع[6].

أما التساقطات فتعرف اختلافا واضحا وتذبذبا على طول السنة، وأول ميزة تتصف بها هي خضوعها لنظام ذو فصلين فصل ممطر نسبيا (الخريف والشتاء) وفصل جاف (الربيع). وإذا كانت هذه العناصر (الحرارة التساقطات الرياح) تعرف حالات تذبذب بين الشهور والفصول، فإن العيش فيها يبقى صعبا إلا على طول الواد. فهذا الأخير شكل القلب النابض للمنطقة، وعلى أساسه قامت حياة السكان، وعلى إثره استمر المجال الحضري الذي يمتد هو الأخر على طول الواد متخذا شكلا خطيا، مستمدا أهميته من الظروف الطبيعية الذي أنتجته. ومن هنا يبرز مدى التأقلم الذي تبديه ظاهرة التمدين في هذا الوسط، ومن امتداد المجال الحضري على أطراف الواحة (صورة رقم 1)، نظرا لما توفرها من إيجابيات للتوطن البشري كالتقرب من الماء (خريطو رقم:3).

صورة رقم 1: امتداد المجال الحضري على ضفاف وادداس

بحث ميداني2023

خريطة رقم 3خريطة الامتداد الخطي للمجال الحضري لبومالن دادس

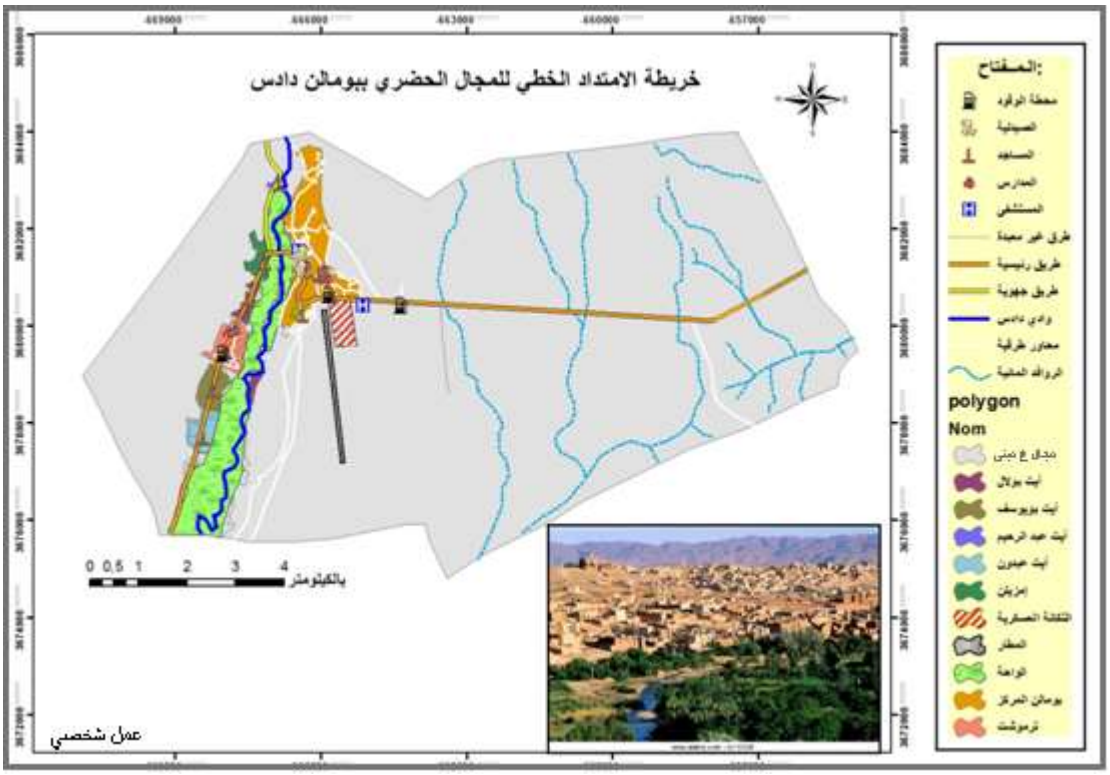

عمل شخصي+ المصلحة التقنية بجماعة بومالن دادس

2.3.المركز الحضري ينمو على سفح الهضبة

إن الوضعية العقارية المعقدة على ظهر الهضبة بالمركز الحضري لبومالن دادس هي السبب الكامن وراء انتشار البناء على سفح الهضبة، في الوقت الذي يمكن أن يكون مجالا أخضر كما هو الشأن في الفترة الاستعمارية. ويرجع المشكل إلى كون المساحات المنبسطة على ظهر الهضبة كانت مجال صراع ونزاع بين البلدية ومؤسسة التجهيزات العسكرية التي تأكد أنها تمتلك الجزء الكبير من الأراضي فوق سطح الهضبة، وأثبتت ذلك بعقود شراء ترجع إلى نهاية الخمسينات، وبالتالي ظل هذا المكان إلى الوقت الحالي في ملك المؤسسة العسكرية، ولم يعرف أي امتداد عمراني آنذاك. نظرا لاعتراض المؤسسة بإقامة أي بناية سكنية، وهذا ما حتم على السكان بالبناء على حافة الهضبة، مما جعل السكن ينحصر بين سفح الهضبة وضفتي الواد، وبعد حوارات بين الجماعة وإدارة المؤسسة العسكرية تمكنت هذه الأخيرة من الحصول على مساحة أرضية منحت من طرف البلدية وتدخل ضمن أراضي الجموع لإقامة معسكر للتدريب. كما تم تحويل حقل الرماية إلى حدود مع جماعة إميضر، في المقابل حصلت الجماعة على أراضي تابعة للمؤسسة شيد فيها المستشفى الحالي على مساحة تقدرب1800م^2 كما تم استئناف البناء في تجزئة" أداك" التي توقف العمل فيها لمدة تناهز 20سنة، وأيضا تم الحصول على بقعة أرضية أقيم فيها السوق الأسبوعي الجديد الذي يقع على أرض تابعة للمؤسسة العسكرية في تصميم التهيئة، إلا أن المشكل العقاري مازال مطروحا بين الجماعة وهذه المؤسسة، مما جعل حركية التعمير على ظهر الهضبة يشوبها الجمود، على اعتبار أن الجماعة لا تمتلك إلا 36 كلم^{2}من رصيدها العقاري. مما يعني أن المشكل العقاري مازال عائقا أمام التوسع الحضري.

3.3. التكنة والادارة وظائف تستهلك المجال على ظهر الهضبة

امتدت على الجبهة الشرقية للجماعة فوق هضبة "أنبد" منشآت عسكرية وإدارية أعطت امتدادا للمجال الحضري. فالجندية كنشاط عرفه المركز منذ الفترة الاستعمارية تألق دورها، إذ أصبح من الصعب استيعاب القوات العسكرية المضافة. وكانت الحاجة إلى خلق ثكنة عسكرية جديدة، وهو الأمر الذي انتهى باستحواذ المنشآت العسكرية على مساحات شاسعة في الجهة الشرقية للجماعة على توسع المجال الحضري. إذ أصبحت أغلب الأراضي الموجهة للتعمير في ملك المؤسسة العسكرية. الشيء الذي جعل دينامية التعمير في هذا الجزء يعرف تباطئا، رغم محاولات الجماعة استبدال الأراضي بينها وبين المؤسسة العسكرية لكن لم يتحقق ذلك. وإلى جانب الثكنة العسكرية أخذت الوحدات الإدارية تنتشر هي الأخرى على ظهر الهضبة حيث احتضنت مقر الدائرة التي اجتذبت إليها مصالح إدارية أخرى مختلفة.

عرفت بومالن دادس انتشارا لمجموعة من الفنادق السياحية، فأول وحدة فندقية شهدها الجماعة كانت منذ سنة 1972تم إنشاؤها من طرف وزارة السياحة. وأمام تزايد التردد السياحي على المدينة دعت الحاجة إلى زيادة في عدد الفنادق، وهو الأمر الذي انتهى بانجاز مجموعة من المؤسسات الفندقية في مواقع مختلفة، منها ما هو مصنف ومنها ما هو غير مصنفة.

صورة رقم 2: فندق شالوكا بمدينة بومالن دادس

المصدر: عمل شخصي 2024

إن تعدد الوحدات السياحية وتمركزها في مواقع مختلفة ساهم في إبراز وامتداد المجال الحضري. وفي المقابل ظهرت مجموعة من الأنشطة الأخرى المرتبطة بالسياحة، كالبازارات التي بلغ عددها 4 محلات ومخيمين. بالإضافة إلى المقاهي والمحلات التجارية وأيضا المآوي المرحلية. كلها أنشطة أعطت للجماعة دينامية مجالية ووفرت فرص شغل للساكنة المحلية.

هكذا نستنتج أن مختلف المنشآت الاجتماعية والاقتصادية لعبت دورا أساسيا في توسع وامتداد المجال الحضري، إلا أن ذلك يتم غياب بنية تحتية موازية.

4. أنشطة اقتصادية مهمة تساعد على توسع نفود المدينة

لقد تضافرت مجموعة من العوامل في تأسيس النشاط التجاري بالمنطقة، من بينها العامل الجغرافي والعامل الأمني اللذان يطبعان الواحة من قبل. كما لعب اليهود دورا أساسيا في نشأتها. بالإضافة إلى أهمية الأنشطة الأخرى كالفلاحة والصناعة التقليدية والسياحة، وكذا دور وسائل النقل والإعلام والاتصال، بحيث ساهمت هذه العوامل كلها في تنشيط القطاع التجاري.

1.4. تجارة المواد الغذائية تحتل الصدارة

شهدت تجارة المواد الغذائية تطورا وانتشارا واسعا في أرجاء المدينة، نظرا لكونها عنصرا لا يتطلب رساميل باهضة وخبرة واسعة، بل هو نشاط مرتبط بالاستهلاك المباشر والعيش اليومي للسكان، وبالتالي فمواقعها متعددة تساعد على ظهورها في كل مكان. وفيما يلي أصناف تجارة التغذية ببومالن دادس (شكل رقم:1).

شكل رقم 1: توزيع تجارة التغدية بالجماعة الترابية لبومالن دادس

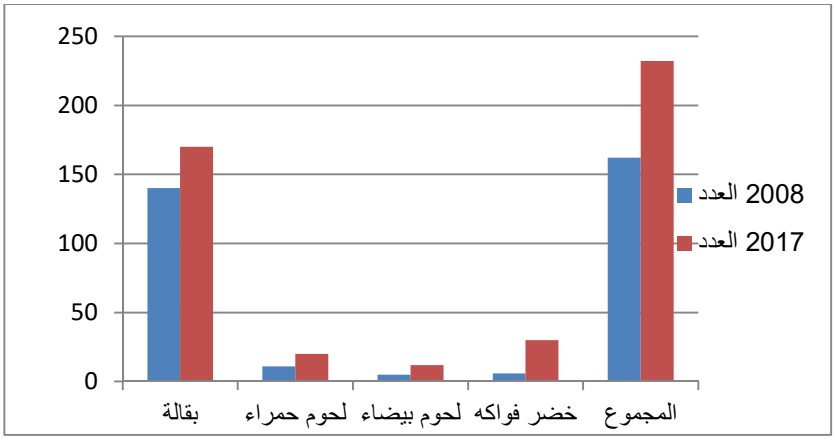

المصدر: منوغرافية بومالن دادس+ بحث ميداني 2017

يبدو من خلال الشكل رقم (1) أن بيع المواد الغذائية يعرف تطورا من حيث العدد والأهمية بما يناهز170 محل، ونجد في المرتبة الثانية محلات بيع اللحوم الحمراء، ومحلات بيع الخضر والفواكه، واللحوم البيضاء في المرتبة الأخيرة. فهذا الحضور القوي لأنشطة التجارة الغذائية جعل الجماعة تعرف رواجا مهما تساهم في دينامية المركز الحضري لبومالن دادس.

2.4. تجارة التجهيز تبقى متواضعة

تضم تجارة التجهيز مجموعة من البضائع كالملابس ومواد البناء ومواد التجهيز المنزلي، وفيما يلي أهم أصناف هذا النوع من التجارة.

جدول رقم2: توزيع عدد محلات تجارة التجهيزبالجماعة الترابية لبومالن دادس

السنوات	2008	2024
مواد البناء	04	13
ملابس واحذية	13	44
تجهيز منزلي	05	13
بازار	04	07
المجموع	26	53

المصدر: البحث الميداني أبريل2024

من خلال الجدول رقم (2) نلاحظ أن تجارة الملابس تحتل المرتبة الثانية بعد محلات المواد الغذائية، رغم أن الإقبال عليها لم يكن إلا في المناسبات والأعياد، ويوازي ذلك محلات التجهيز المنزلي ومواد البناء، بالإضافة إلى ظهور محلات البازارات أمام تزايد التردد السياحي على المنطقة.فتجارة التجهيز موجهة لفئة معينة، خاصة ذات الدخل المرتفع، وهو ما يبين تواجدها في مراكز دون أخرى.

5.توزيع الخدمات الاقتصادية والاجتماعية

يلعب قطاع الخدمات دورا أساسيا في إبراز مكانة المركز ضمن الخريطة الإقليمية، ويمكن أن نميز نوعين من الأنشطة، منها ما بالقطاع الاقتصادي ومنها ما يرتبط بالقطاع الاجتماعي.

1.5.تواجد مهم للخدمات العادية

الخدمات عبارة عن مجموعة من الأنشطة التي تعرف توزيعا وانتشارا واسعا في كل المواقع، وتحضى بإقبال هام من طرف السكان، وتخلق رواجا وتراقصا متواضعا كما هو مبين في الجدول التالي.

جدول رقم 3: أنشطة الخدمات العادية

السنوات	2008	2420
النوع	العدد	العدد
حلاق	12	24
فرن	03	70
حمام	40	05
مقهى	25	45
طاحونة	04	50

المصدر: بلدية بومالن والبحث الميداني 2024

انطلاقا من الجدول رقم (3)، نلاحظ أن الحلاقة والمقاهي تتصدر قائمة المحلات، فهي تنتشر على الشوارع خاصة شارع محمد الخامس، هذا النوع من الحرف يتطلب خبرة ومهارة يدوية ترضي الزبناء رغم أن مكانة بومالن على مستوى هذه الأنشطة تظل متوسطة، مقارنة بالمركز الحضري لورزازات أو تنغير، وهذا يبين أن هناك تراتبية مجالية على مستوى المراكز، حيث تكون التمثيلية لعاصمة الإقليم.

كما نلاحظ أن الخدمات النادرة تبقى ضعيفة، في حين أن بعض الخدمات تظل غائبة.

2.5. الخدمات الاجتماعية أي تمثيلية للجماعة؟

الخدمات الاجتماعية هي خدمات تميز المجالات الحضرية، تسعى من خلالها الدولة تأطير المجال ومراقبة السكان، وذلك بتوفير الحقوق الضرورية لعموم الناس، من مرافق صحية وتعليمية وأنشطة ثقافية. إلا أن توزيع هذه الخدمات يتميز بالتباين والاختلاف بين مراكز أسندت لها مهام إقليمية وأخرى تبقى ذات مهام محلية، والحصة تكون ضعيفة وذات تمثيلية قليلة (جدول رقم:4). ومن هنا نتساءل هل الخدمات الاجتماعية المتوفرة حاليا بالمركز كافية لتغطية حاجيات الساكنة؟ والى أي حد ساهمت في تأطير المجال؟

جدول رقم 4: توزيع الخدمات الاجتماعية والثقافية ببومالن دادس سنة 2024

نوع الخدمة	العدد	نوع الخدمة	العدد
مدرسة	07	دار الشباب	1
مسجد	17	ملعب+ مركب سوسيورياضي	06
مركز صحي	1	جمعية	52
بريد	1	تعاونية فلاحية	12
نادي نسوي	03	مستشفى	1
ثانوية	01	خيرية	2
إعدادية	03	خزانة	-
مدرسة مهنية	-		
		المجموع	107

المصدر: البحث الميداني 2024 والتصميم التوجيهي لتهيئة حوضي تودغة ودادس

من خلال الجدول رقم (4) نجد أن الخدمات الاجتماعية 63% تحتل الرتبة الأولى، تليها الخدمات الدينية ب 16%ثم التعليمية تشغل 6.6%، والرياضة 6%والصحية 2% وأخيرا الثقافية1% ثم خدمات أخرى ب2%.

فالملاحظ أن جماعة بومالن دادس تتميز بضعف التجهيز على مستوى الخدمات الاجتماعية والثقافية، الشيء الذي جعل العديد من السكان يلتجؤن إلى المدن الأخرى، كورزازات التي تستحوذ على معظم الخدمات بنسبة 26 % على المستوى الإقليمي. ومن هنا تبرز التراتبية المجالية بين مراكز تتألق على جميع الأصعدة وأخرى تبقى في مستويات أدنى. وبشكل عام فقطاع الخدمات يعد من أهم المعايير الاقتصادية ويتأثر بحجم الساكنة، فنموه مرتبط بالتزايد السكاني الذي يؤثر إيجابا على نوعية وكمية الخدمات التي يجب توفرها.

من خلال ما سبق يتضح أن الأنشطة التجارية والخدماتية ببلدية بومالن دادس عرفت تنوعا و تركزا مجاليا واسعا، مما يدل على أن بومالن اندمجت في مسلسل المشاريع الحديثة، كما أن جل المحلات التجارية والخدماتية أنشأت في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وهذا ما يعكس تطور هذا القطاع رغم أن التمثيلية تعود لعاصمة الإقليم.

خاتمة...

إن ما يميز واحة بومالن دادس من قبل هو سيادة نظام الدواوير، التي بلغ بعضها مستوى من التنظيم الاجتماعي والسياسي.هذا الإنتاج السياسي والاجتماعي والثقافي شكل عنصرا من عناصر التنظيم العتيق، ولم تستطيع يوما أن تشكل جسما حضريا. إلا أن هذه التنظيمات المجالية ستتراجع مع دخول الحماية الفرنسية سنة 1930 التي وضعت نظام المراكز العسكرية التي تنافس التجمعات القبلية، وستؤثر في تنظيم المجال الواحي ككل. وبعد الاستقلال احتضنت الجماعة مجموعة من الخدمات والوظائف الإدارية كانت وراء تطور ونمو المجال الحضري لبومالن دادس.

فالجماعة تعرف نموا مجاليا متزايدا، هذا النمو يجسده المعيار المجالي المتمثل في السكن والمعيار الوظيفي المتعلق بالأنشطة. فالجماعة لها قوة جذب نسبية تبينها تيارات الهجرة إليها من الأرياف المجاورة لها، أو من المدن الأخرى، وساعدها في ذلك تجهيزاتها المختلفة وديناميتها.أما الأنشطة الخدماتية فرغم محدوديتها فهي تساهم في استقطاب عدد مهم من السكان، كلما تعلق الأمر بالمصالح الإدارية أو الصحية أو التعليمية، فما دون ذلك فالتمثيلية تعود إلى مدينة تنغير عاصمة الإقليم التي تستحوذ على الأنشطة والخدمات المهمة في الإقليم.

6.نتائج وتوصيات

نعتمد هذا التصور ومدينة بومالن دادس يتسع مجالها في غياب نظرة شمولية لخصوصيتها على أساس أنها مدينة تحتضن مجموعة من الأنشطة. إلا أن طبيعتها الاجتماعية ودواويرها وثقافة سكانها تجعل منها مدينة بمضمونها الواحي. فمركز بومالن دادس ينمو في وسط واحي، محدود الموارد، ويعرف تمدينا سريعا غير منظم غير متحكم فيه وغير مراقب ويهدد الواحة.ومن هنا يحق علينا أن نتساءل كما يلي:

- هل يجب تمدين الواحة؟ أم أن التمدين هي أداة من أدوات تدهور المنظومة الواحية؟
- وهل التمدين الحالي يناسب الواحة؟ وإلى أي حد يحافظ عليها؟
- وهل يمكن اعتبار التمدين بداية نهاية الواحة؟

الهوامش:

[1]– لحسين اقيوح. النظام الحضري وتنظيم المجال بمنطقة درعة. رسالة دكتوراه الدولة في الجغرافيا–كلية الآداب بني ملال 2004– المغرب–2005

[2]– الحسين الزيت. الجماعة الحضرية لبومالن دادس أي تدبير. بحث لنيل الإجازة–كلية الآداب مراكش–المغرب– 2000 /2001

[3]– طبلي لحسن: الثقافة الشعبية بقلعة مكونة بحث لنيل الإجازة في الآداب العربي–كلية الآداب مراكش–1991–1992ص3.

[4]– أبو عبد إله سعيد بومالن دراسة جغرافية–بحث لنيل الإجازة –كلية الآداب مراكش–1996–1997 ص 10.

[5]– بلدية بومالن دادس قسم الحالة المدنية.

[6]– مركز الاستثمار الفلاحي بومالن دادس